الإستعارة ووجوها البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني

علاء فاضل هواد
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا0
اما بعد-----
فإنّ أشرف العلوم وأولاها بالتعلم بعد كتاب الله علمي الفصاحة والبلاغة اللذين يعرف بهما إعجاز كتاب الله0 لأن الدارس لكتاب الله تعاى لايستطيع الوقوف على أسرار ومزايا هذا الكتاب العظيم مالم يلمّ بهذين العلمين بهما، إذ إنّ البلاغة تحلل الأصل والفرع وهي كما وصفها عبد القاهر الجرجاني : (بأنها أمد ميدانا وأشد افتانا)0ومن هذا الجانب كانت الرغبة لديّ في كتابة هذه الصفحات المتواضعة التي أسميتها (الإستعارة ووجوهها البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني) لنشكر بذلك قضل الله علينا وفضل من سبقنا في هذا المضمار0وختما أقول : إنّ محاولتي هذه تبقى محاولة باحث مبتدئْ يرجو من الله أن يكون وفيّ الحقيقة حقها غير مجنف عن صوابها ، والله من وراء القصد0

التمهيد

الإستعارة لغةً وإصطلاحاً

الإستعارة لغة

الإستعارة في اللغة ترجع إلى معان متعددة ، منها ما يعود إلى العاريّة0
والتعاور : أي المداولة والتداول، وقد أعار الشيْ وعاوره إياه [1]، والمعاورة
والتعاور : شبه المداولة والتداول فكلاهما يكون بين اثنين ، ومنه قول دي الرمة :
وسقط كعين الديك عاورت صاحبي أباها وهيأنا لموقعها وكرا
يعني الزند ومايسقط من نارها ، وأنشد ابن المظفر :
إذا ردّ المعاور ماستعارا
000 وفي حديث ابن عباس وقصة العجل : من حلي تعوره بنو إسرائيل : أي استعاروه ، يقال : تعوّر واستعار نحو تعجب واستعجب 0 وحكى اللحياني : أرى ذا الدهر يستعيرني ثيابي ، قال يقولها الرجل إذا كبر وخشي الموت 0 واعتوروا الشيْ وتعاوروه وتعوّروه : تداولوه فيما بينهم ، قال أبو كثير :
وإذا الكماة تعاوروا طعن الكلى نذر البكارة في الجزاء المضعف [2]
وقد تعود الإستعارة إلى الاختلاف على الشيء والمناوبة والتناوب عليه ، ففي الحديث : ((يتعاورون على منبري))
أي يتناوبون ويختلفون عليه ، كلما مضى واحد خلفه واحد ، وتعاور القوم فلانا بالضرب : أي تناوبوا علي بالضرب واحداً بعد واحد،تقول : أعرته إعارةً وعارةً ، كما تقول : أطعته إطاعةً وطاعةً ، وأجبته إجابةً وجابةً0[3]وكذا تكون العاريّة بالتشديد مأخوذة من العار لأنها عار على من طلبها وعيب عليه ، وفي هذا الرأي بعض التأمل، فإن قولنا : إستعار إستعارةً هو شبيه قولنا : إستجار إستجارةً ، فكلاهما من إستفال إستفالةً ، أي طلب المجاورة والتجاور فهل في ذلك عيب على من يتناوبون تحت منبر الرسول (ص) 0
فالإستعارة وإن كانت مأخوذة من العار ، الاّ أنها استعملت كثيرا في اللغة ، فالباحث عندما يكتب بحثاً يستعير آيات أو معان من القرآن الكريم أو من أحاديث الرسول(ص) في بحثه فهل في ذلك عار عليه؟، بل نرى العكس ، فإن الخطيب إذا ألقى خطبةً ولم يذكر فيها البسملة أو آيات من القرآن تسمى تلك الخطبة شوهاء أو بتراء وما إلى ذلك من التسميات التي تحط من قدر هذه الخطبة مهما بلغت من البلاغة أو الفصاحة0وهكذا يتضح أن معنى كلمة الإستعارة يدور حول المداولة والتداول، وكذلك تأتي بمنى التناوب والمناوبة والإختلاف على الشيء، اما معناها العام فهو الأخذ مع التعهد بالرد0 (واستعار الشيء : طلب منه أن يعيره إياه) [4]0والاستعارة من الإستفالة ، وفعلها إستعار من استفال وهو مزيد ، والثلاثي عور من فعل ، وقد حذفت الواو – عين الفعل ـ وأبدلت ألفاً ثم زيد الفعل فأصبح إستعار أي طلب العاريّة والتعاور 0والإستعارة من من الإستفالة ومعناها محاولة أخذ الشيء من الغير مع علم الطرف الثاني بالأخذ والوعد برده اليه، وذلك معنى الإستعارة وهو المحاولة، أما المعاورة من المفاعلة ، فتشير إلى

تحقق هذا الفعل وليس محاولةتحقيقه، وذلك شبيه الخداع والمخادعة، فالخداع متحقق فعلاً ، أما المخادعة فهو محاولة الخداع ، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى : {يخادعون الله ورسوله ومايخدعون إلاّ أنفسهم ومايشعرون} [5]، أي يحاولون خداع الله تعالى ورسوله الكريم وذلك محال التحقق، لأنهم مهما حاولوا فإنهم لن يخدعوه تعالى ولا رسوله الكريم فهو علاّم الغيوب، بدليل تكملة الآية:{ومايخدعون إلاّ أنفسهم}0

[1] ينظر: ابن منظور، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، دار الفكر بيروت، مادة(عور)، ج 4 ، " ص618

[2]ينظر : المرجع نفسه، الصفحة نفسها0

[3] ينظر : المرجع نفسه، الصفحة نفسها0

[4] رضا العلامة الشيخ محمد : معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1960،ج4،ص2400

[5] سورة البقرة، آية : 9

الإستعارة إصطلاحاً

تمتد جذور الإستعارة إلى أصول موغلة في القدم حتى تصل إلى (أرسطو طاليس) الفيلسوف اليوناني ، وربما تصل إلى ماقبله عند سقراط أو أفلاطون، إذ إن أرسطو تناول الإستعارة وعرّفها على أنها :(نقل أوتخييل)[1]، وفي ذلك كلام سيأتيذكره في موضعه ـ إن شاء الله ـ عندما أتناول الجذور التاريخية للإستعارة0 أما مايهمنا في هذا الباب فهو الإستعارة عند عبد القاهر الجرجاني التي هي موضع البحث، فقد عرّ الجرجاني الإستعارة في كتابه(أسرار البلاغة) بقوله: (أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه إختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقلها إليه نقلاً غير لازم)0 [2]فإن قولنا رأيت أسداً، فمن المعلوم أن لفظ الأسد موضوع في الأصل لذلك الحيوان المعروف وقد اختص هذا الحيوان بهذا اللفظ دون غيره من الموجودات ، ثم استمله المتكلم في غير ذلك الأصل ن فنقله من الحيوان المعروف ليصف به إنساناً ، وقد وصف عبد القاهر هذا النقل بأنه غير لازم ، فإنني عندما وصفت زيداً بأنه أسد ونقلت له هذا الإسم من هذا الحيوان لإشتراكهما في صفة واحدة أو عدة صفات، فإن هذا النقل لايعني أنني كلما أطلقت لفظ الأسد يتبادر إلى ذهن السامع أنني أقصد زيداّ الإنسان فهذا المعنى ليس من شأن الإستعارة بل هو اسم العلم المنقول ، فلو كان اسم أحدهم(سهيل) مثلاً، فمن المعلوم أن هذا الإسم قد نقل من اسم النجم في السماء واستمل اسم علم للإنسان فهذا النقل يكون لازماً ، أي كلما أطلق لفظ سهيل يتبادر إلى ذهن السامع أن المقصود به إنسان، وهذا المعنى غير موجود في الإستعارة0 كما أن هذا النقل ـ في الإستعارة ـ يجب أن يكون بشروط ، ولايكون إعتباطياً، ولعلّ من أهم تلك الشروط، هو أن يكون بين المنقول منه والمنقول إليه صلة وعلاقة وهي المشابهة أو التشبيه بين الطرفين، فأنا عندما قلت: رأيت أسداً، فأنا في الحقيقة لم أرَ أسداً حقيقياً وإنما رأيت زيداً من الناس وقد وصفته بأنه أسد، وذلك لعلاقة المشابهة بينهما، وهذه العلاقة هي صفة الشجاعة0إذن فغاية الإستعارة هي المبالغة في التشبيه، ولكن يجب أن ليغرنا هذا ويجرنا إلى الوقوع في خطأ أن نصف الإستعارة بأنها تشبيه، إذ إنها تدرَّس في بعض المراحل الدراسية على هذا الأساس، فتعرَّف في الكتاب المدرسي على أنها:(تشبيه حذف أحد طرفيه) [3] ،والأمر ليس كذلك، ولكن الأصح أن نقول: أن الإستعارة تعتمد على التشبيه وليست هي تشبيهاً0أما في كتابه(دلائل الإعجاز) فقد عرف عبد القاهر الجرجاني الإستعارة قائلاً: (أن تريد تشبيه الشيء بالشيء،فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه)0[4]

[1]أوكَان عمر: اللغة والخطاب ، أفريقيا الشرق،بيروت2001،ص125

[2] الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة،المصدر السابق،ص38

[3] أوكَان، عمر: اللغة والخطاب،المصدر السابق،ص163 0

[4] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، شرح وتعليقن د0 محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، ط1، بيروت 2004، ص90 0

فأنت إذا أردت أن تشبه رجلاًبالأسد، فأنت ههنا أمام خيارين:

الأول،أن تطنب بالكلام فتقول:رأيت رجلاً كالأسد في الشجاعة وقوة البطش والهيبة000 إلخ0والثاني أن تختصر الكلام مع بقاء المعنى على حاله فلا يختصر،فتقول:رأيتُ أسداً،فأنت في الثاني تكون قد اتبعت تعريف عبد القاهر الجرجاني للإستعارة، إذ إنك شبهت الرجل بالأسد، فتركت أن تفصح بالتشبيه ولم تظهره،ثم أتيت إلى إسم الأسد(المشبه به) فأعرته إلى زيد(المشبه) وأجريته عليه ، ومن المعلوم أنك إذا

سمعت القولين(ألأول والثاني)، فإن الثاني أوقع في النفس على الرغم من الإختصار فيه،وهذا هوديدن الإستعارة،فإنها كما قال الجرجاني:(أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ،حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر)0[1]عرضنا فيما سبق تعريفين من عبد القاهر الجرجاني للإستعارة، ولو تأملناهما جيداً لوجدنا أن الجرجاني في الأول يعرّف الإستعارة بطريقة تختلف عن تعريفة لها في الثاني0ففي الأول(أسرار البلاغة)يتناول الإستعارة من حيث أنها نقل، أن للفظ أصلاً يختص به ثم ينقل من هذا الأصل إلى آخر، ثم يذكر شرطاً لهذا النقل،هو أن يكون نقلاً غير لازم0 وهو يفرق بين الإستعارة واسم العلم المنقول كما تقدم 0وفي الثاني(دلائل الإعجاز)،يذكر أن الإستعارة هي إرادة التشبيه،لكنه يستدرك قائلاً: (فتدع أن تفصح بالتشبيه)، أي ليس تشبيهنبل إرادة التشبيه،وهو بذلك يفرق بين الإستعارة والتشبيه0ولكن في النهاية فإن التعريفين يتفقان على أن الإستعارة هي أخذ من طرف إلى طرف آخر على سبيل الإعارة، لعلاقة التشبيه بينهما0

أما تعريف الإستعارة عند غير عبد القاهر ن ففيه أقوال:

الأول ذهب إلى أنها: (تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه)[2]

والثاني: (ماتضمن تشبيه معناه بماوضع له)0[3]

والثالث: (إدعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه،مع طرح ذكر المشبه من البين)0[4]

والرابع: (نقل المعنى من لفظ إلى لفظ، لمشاركة بينهما، مع طيّ ذكر المنقول اليه)[5]0

والخامس: (إستعمال اللفظ في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه،مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي) [6]

---

[1] الجرجاني ، عبد القاهر: أسرارالبلاغة، المصدر السابق،ص47 0

[2] المراغي،أحمد مصطفى: علوم البلاغة،دار الكتب العلمية،ط3،بيروت،1993 0ص260

[3] القزويني،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر إختارها وأشرف عليها شيخ الكلية،ج2، مطبعة السنة المحمدية،القاهرة،ص280 0

[4] الجرجاني، الشريف علي بن محمد: التعريفات،دار الكتب العلمية،بيروت،1995،ص20 0

[5] إبن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه د0 أحمد الحوفي ود0 بدوي طبانة، ج2، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، ص67 0

[6] الهاشمي، السيد أحمد: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، إشراف صدقي محمد جميل، مؤسسة الصادق(ع) للطباعة والنشر، طهران،ط1379،1، ص264 0

الفصل الأول

الإستعارة وعلاقتها بالتشبيه

المبحث الأول

الجذور التاريخية للإستعارة

الإستعارة من محسنات الكلام، فهي تفيد قلة في اللفظ وغزارة في المعنى، لذلك فقد استعملت في الكلام ـ الفصيح منه والعامي ـ (لأن الإستعارة هي جوهر اللغة البشرية، إنها طبيعة في اللغات الطبيعية وهو مايمكن إكتشافه من خلال صيحات الباعة في الأسواق، وأحاديث النساء،ومسامرات الشباب،وسخريات السكارى،وهذيان المجانين،وسجارات المتسكعين،وتدجيلات السياسيين،وغير ذلك ممايظهر أن الإستعارة لاتدل على العبقرية ولاهي صفة من صفات الأسلوب السامي والعظيم، بقدر ماتدل على أن الإنسان حيوان إستعاري، لأنه يحيا بالإستعارة) [1]0 لذلك يعمدالمتكلم إلى إدخالها في كلامه طلباً للحسن والتأثير في السامع لإمتاعه بمايقول، وربمايكون ذلك من وراء إستخدامها منذ القدم وحتى الآن، فقد تقدم أن قلنا أن جذورها تمتد إلى أصول موغلة في القدم[2] ،وذلك يعني أنها غير مختصة في اللغة العربية، (فإن الكثير منها تراه في عداد مايشترك فيه أجيال الناس ، ويجري به العرف في جميع اللغات، فقولك: رأيت أسداً، تريد وصف رجل بالشجاعة وتشبيهه بالأسد على المبالغة، أمر يستوي فيه العربي والأعجمي، وتجده في كل جيل، وتسمعه من كل قبيل، كما أن قولنا: زيد كالأسدِ، على التصريح بالتشبيه كذلك، فلا يمكن أن يدّعى: أنّا إذا إستعملنا هذا النحو من الإستعارة، فقد عمدنا إلى طريقة من المعقولات لايعرفها غير العرب، أو تتفق لمن سواهم، لأن ذلك بمنزلة أن نقول: إن تركيب الكلام من الإسمين، أو من الفعل والإسم يختص بلغة العرب، وذلك مما لايخفى فساده)0[3]

ولو عدنا قليلاً في التاريخ إلى الوراء، لرأينا الإستعارة حاضرة عند الأقدمين ولاسيما عند الفلاسفة اليونان، وأخص بالذكر الفيلسوف اليوناني " أرسطو طاليس "،إذ عرّف الإستعارة على أنها(نقل أو تخييل، حيث أنها نقل إسم شيء إلى شيء آخر)0[3] وأنا أعتقد أن أرسطو يؤاخذ على تعريفه هذا، إذ أنه عرّف الإستعارة بأنها نقل أو تخييل، فإنه بذلك جعلها تفتح أحضانها لتشمل عدداً كبيراً من الوجوه البلاغية مثل (الكناية،المجاز المرسل، التشبيه،والتمثيل)،وهذا لايدعونا أن نصب جام غضبنا على أرسطو، فإنه يمكن أن نقول: أن الإستعارة في ذلك الوقت حالها حال بقية العلوم والمواضيع العلمية، إذ إنها تفهم بالشكل المطلوب، وأنها كما حصل مع بقية العلوم، قد تطورت بمرور الزمن إلى أن وصلت إلى وقتنا هذا، فقد أخذت الإستعارة كذلك نصيبها من التطور، وهذا مايدعونا إلى أن نقول: أن عبد القاهر الجرجاني قد طوّر الإستعارة بتعريفه لها سواء في كتابه(دلائل الإعجاز) أم (أسرار البلاغة)0

ولعل ماذكرنا آنفاً يمكننا القول: أن الإستعارة قد درست قديماً وعند غير العرب، وهذا مايدعم قولنا: أنها غير مختصة باللغة العربية، (فلو أن مترجماً ترجم قول أسامة بن الحارث الهذلي:

وإلا النعامُ وحقانه

ففسر الحقان باللفظ المشترك الذي هو كالأولاد الصغار، لأنه لايجد في اللغة التي

---

[1] أوكَان، عمر: اللغة والخطاب، المصدر السابق،ص132 0

[2] راجع التمهيد، (الإستعارة إصطلاحاً)0

[3] الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، المصدر السابق، ص40 - 41 0

[4] أوكَان، عمر: اللغة والخطاب، المصدر السابق، ص125 0

بها يترجم لفظاً خاصاً، لكان مصيباً ومؤدياً للكلام كما هو، ولو أنه ترجم قولنا: رأيتُ أسداً، تريد رجلاً شجاعاً، فذكر مامعناه معنى قولك: شجاعاً شديداً، وترك أن يذكر الإسم الخاص في تلك اللغة بالأسد على هذه الصورة، لم يكن يكن مترجماً للكلام، بل كان مستأنفاً من عند نفسه كلاماً)0[1] أي أنه يجب أن يترجم الكلام ترجمة دقيقة، هذا إذا أراد أن يستعير في اللغة التي يترجم بها وإلا فإنه لم يكن مستعيراً0

---

[1] الجرجاني ، عبد القاهر: أسرار البلاغة، المصدر السابق، ص41 0

المبحث الثاني

الإستعارة والتشبيه بين الإتفاق والإختلاف

إذا نظرنا إلى الإستعارة وعلاقتهابالتشبيه نلحظ مواقف ثلاثة،فمن العلماء من قال باتحادهما، ولايرى أي فرق بينهما، ومنهم من يرى بعض الإختلاف، إلا أنه لا يصل إلى حد الفصل بينهما، والرأي أنهما مختلفان ليس بينهما أي وجه من الشبه0فمن الذين يقولون بإتحادهما إبن الأثير ـ حسب زعم أحمد مصطفى المراغي ـ ، إذ ذهب إلى(أن مضمر الأداة من الشبه معدود في الإستعارة فيجب أن يكون مظهرها كذلك إذ لافرق بينهما إلا بظهور الأداة ، وظهورها إن لم يزده قوة ودخولاً في المجاز لميزده مخرجاً له على سنته)0[1]إذن فهو يرى أن لافرق بين التشبيه والإستعارة إلا بظهور الأداة في الأولى وخفاءها في الثانية،فإن التشبيه الذي أضمرت أداته داخل في الإستعارة على حد قوله، وهذا يعني أن قولنا:زيدَ أسدَ،داخل ومعدود في الإستعارة، وذلك واضح البلان،فإنك قد صرحت بذكر المشبه والمشبه به، وهذا إعتراف بتباينهما،والإستعارة تفيد إتحاد الطرفين،لذلك فإنك تصرح بأحدهما فيُفهم أنك تقصد الطرف الثاني لعلاقةالمشابهة بينهما في صفة أو عدة صفات0هذا مايتهمه به أحمد مصطفى المراغي،ولكن نراه صراحة في كتاب(المثل السائر) لإبن الأثير،أنه يفرق بين المشبه المضمر الأداة والإستعارة،فيذكر أن(التشبيه تشبيهان:تشبيه مظهر الأداة كقولنا: زيدَ كالأسدِ،وتشبيه مضمر الأداة كقولنا:زيدَ أسدَ،وهذا التشبيه المضمر الأداة قد خلطه قوم بالإستعارة،ولم يفرقوا بينهما،وذلك خطأ محض)0[2]ومن أصحاب الرأي الثاني،أرسطو الذي يرى(أن الإستعارة قائمة على المشابهة، ولهذا فهو لايرى الإختلاف بين الإستعارة والتشبيه إختلافاً كبيراً، وإنما يمكن الإختلاف بينهما في حضور أداة التشبيه في الثانية وغيابها في الأولى،مما يجعل من الإستعارة تشبيها مختصراً،إلا أنه يرى في الوقت نفسه أنه ينبغي في الإستعارة الإلتحام بين المستعار منه والمستعار له إلى درجة يصيران فيها شيئاً واحداً،مما يضطرنا إلى القيام بعملية التأويل من أجل هذا التطابق وتشريحه،فلولا هذا التأويل لما إختفت المنافرة بين الطرفين،فعندما نقول: رأيتُ رجلاً كأنه الأسدَ،فإن المتلقي يتصور إنساناً يشبه الأسد دون أن يكون هو هو0أما عندما أقول:رأيتَ أسداً في الحمام،فإن متلقي الخطاب يتصور أسداً ثم يضطر بفعل القرينة الحالية أو اللفظية(أو هما معاً) إلى القيام بعملية التأويل التي تجعله يتصور بعد ذلك إنساناً آخذ

بعض صفات الأسد)0[3] فأرسطو كذلك لايرى الفرق بين الإستعارة والتشبيه كبيراً، وإنما يكمن الإختلاف بينهما في حضور وخفاء أداة التشبيه،إلا أنه يتدارك نفسه جاعلاً بعض التمييز بينهما،

[1] المراغي، أحمد مصطفى: علوم البلاغة،المصدر السابق،ص239 0
[2] إبن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،المصدر السابق،ص59 0
[3] أوكَان، عمر: اللغة والخطاب،المصدر السابق، ص130- 131 0

وذلك أن الإستعارة يتحد فيها الطرفان ـ المستعار منه والمستعار له ـ فتحتاج إلى بعض النظر ةالتأويل لفك الإتحاد،وهذا غير موجود في التشبيه0وعلى الرغم من عدم تعلق هذا الرأي بالإستعارة والتشبيه في العربية،فإن الإستئناس به جاء من باب تعميم هذه العلاقة بينهما في بقية اللغات0 أما الرأي الذي نجده في كتاب(علوم البلاغة)فلا يختلف عن رأي أرسطو،إذ إنه يعرّف الإستعارة ثم يذكر علاقتها بالتشبيه،قائلاً:(وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وأداته ووجه الشبه،لكنها أبلغ منه،لننا مهما بالغنا في التشبيه فلابد من ذكر الطرفين وهذا إعتراف من بتباينهما وإن العلاقة بينهما ليست إلا التشابه والتداني فلا تصل حد الإتحاد،إذ جعل لكل منهما غسماً يمتاز به دليل على عدم إمتزاجهما وإتحادهما،بخلاف الإستعارة فإن دعوى الإتحاد والإمتزاج،وإن المشبه والمشبه به صارا واحداً يصدق عليهما لفظ واحد،فإن قلت: رأيتُ بحراً يعطي البائس والمحتاجَ،كنت قد جعلت الجواد والبحر شيئاً واحداً حتى صح أن يسمى أحدهما بإسم الآخر،ولو لا مأقمت من الدليل(القرينة)على ماتريد،لما خطربال المخاطب غير البحر الذي تعورف بهذا الإسم)[1]0فهو يعرّف الإستعارة على أنها تشبيه،ثم يجعلها أبلغ منه،بسبب إدعاء الإتحاد بين طرفيها،وهذا غير موجود في التشبيه0فهذا الراي ليس فيه من الإختلاف الكثير عن رأي أرسطو0أما القزويني في كتابه(الإيضاح)فهو يفرق بين الإستعارة والتشبيه،ويذكر كيفية التمييز بينهما،إذ يقول:(فإسم المشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر ـ كخبر(كان)و(إنّ)والمفعول الثاني لباب(علمت)والحال ـ فالأصح أن يسمى تشبيهاً،وإن الإسم لايسمى إستعارة،لأن الإسم إذا وقه هذه المواقع،فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه،أو نفيه عنه،فإذا قلت:زيدَ أسدَ،فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد،وإذا إمتنع ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له،فيكون إجتلابه لإثبات التشبيه،فيكون خليقاً بأن يسمى تشبيهاً،إذ كان إنما جاء ليفيده،بخلاف الحالة الثانية،فإن الإسم فيها لم يجتلب لإثبات معناه للشيء،كما إذا قلت:جاءني أسدٌ،ورأيتُ أسداً،فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد،والرؤية واقعة منك عليه،لا لإثبات معنى الأسد لشيء، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه،وصار قصد التشبيه مكنوناً في الضمير،لايعلم إلا بعد الرجوع إلى الشيء من النظر)0[2]فالقزويني في ذلك يفرق بين الإستعارة والتشبيه،أن المشبه به إذا جاء خبراً أو في حكم الخبر،فالأولى أن يسمى تشبيهاً،وذلك أنك إذا قلت: زيدَ أسدَ،فإنك في الحقيقة قد أثبتّ الأسدية لزيد،أما في الإستعارة،فإن قولك:جاءني أسدَ،فإنك أثبتّ المجيء من الأسد على سبيل المجاز،وتريد تشبيه زيد بالأسد0أما عبد القاهر الجرجاني فهو لايقر أي شبه بين الإستعارة والتشبيه وله في ذلك

[1] المراغي أحمد مصطفى: علوم البلاغة، المصدر السابق، ص260 0
[2] القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة،المصدر السابق، ص251 – 252 0

موقف واضح ذكره في كتابه(أسرار البلاغة) فقال: (إن الإسم إذا قصد إجراءه على غير ما هو له لمشابهة بينهما،كان ذلك على وجهين:أحدهما: أن يسقط ذكر المشبه من البين، حتى لايعلم من ظاهر الحال أنك أردته،وذلك أن نقول: عنّت لنا ظبية، وأنت تريد إمرا'،ووردنا بحراً،وأنت تريد الممدوح،فأنت في هذا النحو من الكلام إنما تعرف أن المتكلم لم يرد ما الإسم موضوع له في أصل اللغة بدليل الحال،أو إفصاح المقال بعد السؤال000 ومثال ذلك قوله:

ترنحَ الشربُ وإغتالت حلومَهم شمسٌ ترجلُ فيهم ثم ترحلُ

إستدللت بذكر الشرب وإغتيال الحلوم والإرتحال أنه أراد قينة،ولو قال: ترجلتْ شمسَ،ولم يذكر شيئاً غيره من أحوال الآدميين، لم يعقل قط أنه أراد إمرأة إلا بإخبار مستأنف أو شاهد آخر من الشواهد0

000والوجه الثاني: أن يذكر كل واحد من المشبه والمشبه به،فنقول:زيدٌ أسدٌ،وهندٌ بدرٌ،وهذا الرجلُ الذي تراه سيفٌ صارمٌ على أعداءك،فلاتطلق الإستعارة على هذا النحو،ولكن تقول هو تشبيه،فإذا قال:هو أسدٌ،لم تقل: إستعار له إسم الأسد، ولكن تقول:شبهه بالأسد،وتقولفي الأول أنه إستعارة لاتتوقف فيه ولاتتحاشى البتة،وإن قلت في القسم الأول:أنه تشبيه،كنت مصيباً،من حيث أنك تخبر عما في نفس المتكلم

وعن أصل الغرض،وإن اردت تمام البيان قلت:أراد أن يشبه المرأة بالظبية فإستعار لها إسمها مبالغة)0[1]

ويوضح الجرجاني طبيعة القسمين السابقين،فيذكر أنك في القسم الأول قد عزلت الإسم الأصلي ـ المشبه ـ عن ـ المشبه به ـ وطرحته،وجعلت الثاني هو الواقع عليه والمتناول له،فصار قصدك التشبيه أمراً مطوياً في نفسك،مكنوناً في ضميرك،وليس كذلك القسم الثاني،فإنك قد صرحت فيه بالمشبه إلى جانب المشبه به،وهذا يبعد توهم أن يكون من جنسه0وأما التوهم الذي قد يقع فيه بعض من يسمع قولك:هو أسدَ،ويعتبر ذلك إستعارة مدعياً أن التشبيه يحصل بذكر(الكاف)أو غيرها من أدوات التشبيه،فقد أبعده الجرجاني وذلك بأن ضرب مثلاً من طريق العادة،إذ قال: (وله مثال من طريق العادة وهو أن مثل الهيئة التي يستدل بها على الأجناس كزيّ الملوك وزي السوقة،فكما أنك لو خلعت من الرجل أثواب السوقة ونفيت عنه كل شيء يختص بالسوقة،وألبسته زيّ الملوك فأبديته للناس في صورة الملوك حتى يتوهموه ملكاً، وحتى لايصلوا إلى معرفة حاله إلا بإخبار أو إختبار أو إستدلال من غير الظاهر،كنت قد أعرته هيئة الملك وزيّه على الحقيقة،ولو أنك القيت عليه بعض ما يلبس الملك، من غير أن تعرّيه من المعاني التي تدل على كونه سوقة لم تكن قد أعرته بالحقيقة هيئة الملك،لأن المقصود من هيئة الملك أن يحصل بها المهابة في النفس وأن يتوهم العظمة،ولايحصل ذلك مع وجود الأوصاف الدالة على أن الر جل سوقة)0[2]فالسامع قولك: زيدَ أسدَ، إذا لم يتوهم أنك قصدت أسداص على الحقيقة لم

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، المصدر السابق، ص247 - 248 0

[2] نفس المصدر ، ص250 0

يكن الإسم قد لحقه، ولم تكن قد أعرته إياه إعارة صحيحة، كما أنك لم تعر الرجل هيئة الملك حين لم تزل مايعلم به أنه ليس بملك0ويتناول عبد القاهر مسألة أن يقع السامع في خطأ تسمية التشبيه بالإستعارة،فيبين أن الناس متفاوتون في مستوى وقوعهم بذلك الخطأ،فمنهم من يكون خطأهم مقبولاً نوعاً ما فيعذر صاحبه عليه/ومنهم من لايقبل خطأهم فلايعذرون عليه،هكذا ينتهي الجرجاني إلى أن إسم الإستعارة لايطلق في كل موضع يحسن دخول حرف التشبيه فيه بسهولة،نحو قولك:هو الأسدُ، أي كل موضع ذكر فيه المشبه به بلفظ التعريف،فإن هذا إستعارة فربما تكون معذوراً،وذلك لسهولة دخول حرف التشبيه عليه فيصبح:كالأسدِ،أما قولك:هو اسدَ،فإنك بتسميتك إياه إستعارة يكون الجرم اقبح من السابق،وذلك لصعوبة دخول حرف التشبيه على النكرة،فلايصح أن يقدر:هو كأسدٍ، إلا أنه وإن لم يقبل(الكاف)فإنه يقبل دخول(كأنّ)عليه،فيقدر: كأنه أسدَ، ومثل ذلك(قول البحتري:

شمسَ تألقُ والفراقُ غروبها عنا وبدرَ والصدود كسوفهُ

فهو أقرب من أن نسميه إستعارة،لأنه قد غمض تقدير حرف التشبيه فيه،إذ لا تصل إلى(الكاف) حتى تبطل بينة الكلام وتبدل صورته فتقول: كالشمس المتألقةِ إلا أن فراقها هو الغروب، وكالبدرِ غلا أن صدوده هو الكسوف)[1]0وكذلك من الإستعارة م لايعذر من يسميها تشبيهاً، ويقول الجرجاني:(إن في الإستعارة صحيحة ما لايحسن دخول كلم التشبيه عليه وذلك إذا قوي الشبه بين الأصل والفرع حتى يتمكن الفرع في النفس بمداخلة ذلك الأصل والإتحاد به وكونه إياه،وذلك في نحو النونر إذا أستعير للعلم والإيمان،والظلمة للكفر والجهل ، فهذا النحو لتمكنه وقوةشبهه ومتانة سببه قد صار كأنه حقيقة،ولايحسن لذلك أن تقول في العلم: كأنّه نورَ،وفي الجهل:كأنّه ظلمة،ولاتكاد تقول للرجل في هذا الجنس: كأنّك قد أوقعتني في ظلمةِ،بل تقول: أوقعتني في ظلمة0ولكن إذا تجاوزت هذا النوع إلى نحو قولك : سللتُ منه سيفاً على الأعداء،وجدت(كأنّ)حسنة هناك كثيراً كقولك:بعثتُه إلى العدوِّ فكأنّني سسللتُ سيفاً،وكذلك في نحو: زيدَ أسدَ،كأنّ زيداً أسداً،وهكذا يتدرج الحكم فيه،حتى كلما كان مكان الشبه بين الشيئين أخفى وأغمض وأبعد من العرف،كان الإتيان بكلمة التشبيه أبين وأحسن في الإستعمال)0[2] وكان الجرجاني يريد أن يتم العبارة بقوله:وكان الوقوع في الخطأ أكثر وروداً0أما في قولهم:لقيتُ به أسداً،ورأيتُ منه ليثاً،فرأي الجرجاني في ذلك أنه لا سبيل لتسميته إستعارة،وذلك أن من قال ذلك فإنه لايريد تشبيه زيد بالأسد او الليث،بل كأنه الأسد والليث صفة وليست إسم جنس،أي أنه وصف زيداً بصفة الأسدية،ومما جاء في هذا الباب قوله :{ ولهم فيها دارُ الخلدِ}[3]، فالمعنى ـ والله أعلم ـ أن جهنهم هي دار الخلد،وليس المقصود تشبيه النار بشيء يسمى دار الخلد،وكذلك قول الأعشى:

أخو رغائبَ يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفلُ الزفرُ

---

[1] نفس المصدر،ص253 0

[2] نفس المصدر، ص255 - 256 0

[3] فصلت ن الآية ك 28 0

فههنا لم يجعل الشاعر النوفل الزفر إسماً لجنس بل عده على أنها صفة وصف بها الممدوح كما يقول: هو الشجاعُ0ويختم الجرجاني رأيه في هذا الباب قائلاً:
(هذا ومن حق غالط غلط في نحو ماذكرت ـ على قلة عذره ـ أن لا يغلط في قول الفرزدق :
قياماً ينظرون إلى سعيدٍ كأنهم يرونَ به هلالاً
ولايتوهم إن(هلالاً) إستعارة لسعيد،لأن الحكم على الإسم بالإستعارة مع وجود التشبيه الصريح محال)0[1]مما سبق نستنتج تدرج فداحة الخطأ في الخلط بين الإستعارة والتشبيه ، وذلك أن التشبيه إستعارة كلما قلّت درجة بلاغته أي ذكرت كل أركانه كان الإنسان غير معذور في تسميته إستعارة لكن هذا يجب أن لايعقد بهمتنا عن الوقوف على غاية العلم بالفرق بينهما، والله الموفق0ويفرق الجرجاني بين الإستعارة والتشبيه في(دلائل الإعجاز)،بقوله:(وههنا أصل يجب ضبطه وهو أن جعل المشبه المشبه به على ضربين:أحدهما: أن تنزله منزلة الشيء تذكره بأمر قد ثبت له فأنت لاتحتاج إلى أن تعمل في إثباته وتزجيته0 وذلك حيث تسقط ذكر المشبه من الشيئين ولاتذكره بوجه من الوجوه كقولك: رأيتُ أسداً0
والثاني: أن تجعل ذلك كالأمر الذي تحتاج إلى أن تعمل في إثباته وتزجيته،وذلك حيث تجري إسم المشبه به صراحة على المشبه فتقول: زيدٌ أسدٌ،وزيدٌ هو الأسدُ، أو تجيء به على وجه يرجع إلى هذا،كقولك إنْ لقيتَه لقيتَ به الأسدَ،وإن لقيتَه ليلقيّنك منه الأسدُ،فأنت في هذا كله تعمل في إثبات كونه أسداً أو كالأسد وتضع كلامك له0وأما في الأول فتخرجه مخرج مالاتحتاج فيه إلى إثبات وتزجيته، أنه تشبيه على المبالغة ويقتصر على هذا القدر، ولايسمى إستعارة0)[2]أي أنك إذا أتيت بالإستعارة فقلت: رأيتُ أسداً،فأنت في ذلك لاتحتاج إلى أن تثبت كون زيد أسداً،لأنك إدّعيت أنهما شيء واحد على المجاز،أما إذا أتيت به على التشبيه فقلت:زيدٌ أسدٌ، فإنك لم تدّع أنهما شيْ واحد لأنك صرحت بإسم كل منهما، فأنت بذلك تحتاج إلى أن تثبت ذلك لأنه لم يبلغ من القوة مابلغة سابقة ـ الإستعارة ـ 0وفي جعل المشبه المشبه به، يقول أحمد مصطفى المراغي : (ومن إشتراط المشبه في المشبه به يتضح لك أنه لابد أن يكون المشبه به كلياً كإسم الجنس وعلم الجنس،فلا تتأتى الإستعارة في الإعلام الشخصية لعدم تصور الشركة فيها حتى يمكن إدعاء دخول شيء في خفائها إلا إذا تذمنت أوصافاً بها يصح أن تعتبر كأنها أجناس كتضمن حاتم للجودن ومادر للبخل،وقسّ للفصاحة،وباقل العيّ والفكاهة، فتقول: رأيتُ اليومَ حاتماً أو قسّاً،وتدعي كلية حاتم أو قس،ودخول المشبه في جنس الجواد والفصيح، حتى كأنذ حاتماً موضوع لمن إتصف بالجود سواء أكان ذلك الطائي المشهور أم غيره،وإن كان إطلاقه على الطائي حقيقة وعلى غيره إدعاءاً ، وكذا القول في قس، وكل من هذا الضرب، فسبيله هذا السبيل)0[3]
مما سبق نستنتج أنّ ماذكر فيه وجه الشبه وأداة التشبيه فهو تشبيه بلا شك،وما حذف منه ذلك وذكر المشبه والمشبه به فيجب أن ل نخطأ بتسميته فهو أيضاً يدخل في التشبيه0 أما ما حذف من أحد الطرفين فهو الذي نسميه إستعارة دون تردد0

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة، المصدر السابق، ص258 0
[2] الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجا ز، المصدر السابق، ص90 0
[3] المراغي ،أحمد مصطفى : علوم البلاغة، البيان المعني البديع ، المصدر السابق، ص262 0

مما سبق نستنتج أنّ ماذكر فيه وجه الشبه وأداة التشبيه فهو تشبيه بلا شك،وما حذف منه ذلك وذكر المشبه والمشبه به فيجب أن ل نخطأ بتسميته فهو أيضاً يدخل في التشبيه0 أما ما حذف من أحد الطرفين فهو الذي نسميه إستعارة دون تردد0

الفصل الثاني
الوجوه البلاغية للإستعارة
المبحث الأول
تقسيمات الإستعارة عند عبد القاهر الجرجاني

قسّم علماء البلاغة الإستعارة أقساماً كثيرة حتى بلغت أكثر من ثلاثيين قسماً بإعتبارات مختلفة/ ففي كتاب(أسرار البلاغة) يقسم الجرجاني الإستعارة إلى قسمين، وهما: غير المفيدة والمفيدة0

والمقصود بالإستعارة غير المفيدة: هي أن يكون الإسم موضوعاً لشيء ثم يُستعار لشيْ آخر،وكلا الشيئين ينتميات إلى جنس واحد،فلاتحصل لك فائدة تُذكر من هذا النقل أو هذه الإستعارة،كما يذكر الجرجاني: (كوضعهم للعضو الواحد أسامي كثيرة بحسب إختلاف أجناس الحيوانننحو وضع الشفة للإنسان ، والمشفر للبعير، والجحفلة للفرس، وما شاكل ذلك000ومثاله قول العجاج:

ومقلة وحاجباً مزججاً وفا حماً ومرسناً مسرجاً

يعني أنفاً يبرق كالسراج، والمرسن في الأصل للحيوان،لأنه الموضع الذي يقع عليه الرسن)0[1]

إلا أن القزويني يرى في كتابه(الإيضاح) أن يجعل غير المفيد من ضروب المجاز المرسل، ولم يجعله داخلاً في الإستعارة 0[2]أما الإستعارة المفيدة: فهي التي تحصل لك منها الفائدة العظمى،وهي المعنيّة بالنظر والتدقيق،والتي يجعل الجرجاني اقسام الإستعارة كلها راجعة اليها،ولعل هذا هو الذي جعله يقسّم هذا التقسيم/أي لبيان ماللقسم الثاني من الشرف والرفعة على الأول،وللتمييز بينهما0ولايقتصر الجرجاني على التفريق بين القسمين من الإستعارة بأن جعل الثانية مفيدة والأولى غير مفيدة،بل يرى أن الأولى تنقص من الفائدة على السامع،وذلك عندمانطلق إسم(الشفة في موضع جرى فيه ذكر الإنسان والفرس، فقد يدخل على السامع بعض الشبهة، لأنه يحتمل أن تكون قد إستعرت إسم(الشفة)للفرس،فلولا هذه الإستعارة لما وردت هذه الشبهة0كما أنه يرى في غير الفائدة أنك عندما إستعرت إسم(الشفة) للفرس مثلاً،فإنك لم تفد فائدة تُذكر،ولم يكن هناك فرق بين هذا وأن تطلق ذلك العضو من الفرس(الجحفلة)،فإنه يستنتج من هذا أن هذه الإستعارة ليست إستعارة من جهة المعنى بل هي إستعارة من جهة اللفظ،وبالتالي فلا يتصور أن تكون في غير لغة العرب،ثم انه ربما يكون ذلك في غير لغة العرب بأن يطلقوا إسم شيء آخر من نفس الجنس فبهذا يكونون قد سلكوا مسلك العرب في لغتهم0أما فيما يتعلق بالإستعارة المفيدة، فمما لاشك فيه أنها موجودة في لغة العرب وعند غير العرب كما سبق في الكلام في ذلك0

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر : أسرار البلاغة، المصدر السابق ، ص38 - 39 0

[2] ينظر، القزويني، جلال الدين بن محمد عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة ، المصدر السابق، ص276 -277

ثم يجيء الجرجاني إلى الإستعارة المفيدة ليقسمها إلى : إستعارة في الإسم وأخرى في الفعل0 فالإسم يكون مستعاراً على قسمين:فالأول: أن تنقل الإسم من شيء إلى شيء آخر، وتجريه عليه مجرى الصفة على موصوفها،فمثلاً لو قلت: رأيتُ أسداً،وأنت تقصد زيداً،فإن ذلك شبيه أن تقول: رأيتُ النبيَ(ص)،وأنت تعني محمداً(ص) المتصف بالنبوة0أي أن تحذف المشبه وتذكر المشبه به،وهو المسمى بالإستعارة التصريحية0أما الثاني: فهو أن تذكر المشبه وتحذف المشبه به مع الإبقاء على شيء من لوازمه،وهذا اللازم يكون خليفة عن الإسم الأصلي المحذوف(المشبه به) وينوب منابه ويدل عليه،ومثاله قول لبيد: وغداةَ ريحٍ قد كشفتُ وقرةً إذ أصبحتْ بيدِ الشمالِ زمامها

فلا يمكن أن تجري اليد على الشمال مجرى الأسد على زيد،فليس المقصود ههنا تشبيه الشمال باليد،وإنما تشبيه الريح بالشخص الذي تكون زمام الأمور بيده0فلا يمكن أن نقول في هذين القسمين: أن الأول إستعارة ذات كاملة،أما الثاني فهو إستعارة جزء من ذات0وكذا الأمر بالنسبة للفعل،فهو يكون مستعاراً ـ أيضاً ـ إلا أن الإستعارة في الفعل ترجع إلى مصدره،أي أننا عندما نقول: نطقتْ الحالُ، فإن قولنا: أن الفعل(نَطَقَ) مستعار، يعني أن مصدره(النطق) هو المستعار0والفعل يكون مستعاراً من جهتين:

فهو يكون مستعاراً من جهة فاعله المرفوع به، ومثال ذلك قولنا:نطقتْ الحالُ بكذا، وأخبرتني أسارير وجههِ بما يحوي قلبُه، وحدثتني عيناه ،000 إلخ0

ويكون مستعاراً أيضاً من جهة المفعول به،ومثاله قول إبن المعتز:

جُمِعَ الحقُ لنا في إمامٍ قتلَ البخلَ وأحيا السماحا

فقتلَ وأحيا إنما صارا مستعارين بأن عديا إلى البخل والسماح0[1]

فيما سبق رأينا أن الجرجاني يقسم الإستعارة من حيث نوع الكلمة(إسم، أو فعل)

وهناك تقسيم آخر يراعي فيه تدرجها من حيث القوة والبلاغة،حيث يقول: (وأنا أريد أن أدرجها من الضعف إلى القوة،وأبدأ في تنزيلها بالأدنى،ثم بمايزيد في الإرتفاع،لأن التقسيم إذا أريغ في خارج من الأصل،فالواجب أن يُبدأ بماكان أقل خروجاً منه،وأدنى مدىً من مفارقته)0[2]

---

[1] ينظر ، الجرجاني، عبد القاهر ك أسرار البلاغة، المصدر السابق، ص54 0

[2] نفس المصدر ، ص55 0

فالضرب الأول من الإستعارة القريبة من الحقيقة: هو أن يكون المستعار من جنس المستعار له على الحقيقة،كإستعار الطيران لغير ذي الجناح،والمراد سرعته وإنقضاضه لما بينهما من الإشتراك في جنس الحركة،ومثال ذلك ماجاء في الخبر: كلما سمعَ هيهةً طارَ اليها ، وكذلك قول البحتري:

كالفجر فاضَ على نجوم الغيهبِ

لأن للفجر إنبساطاً وحالاً شبيهة بإنبساط الماء وحركته في فيضه0 والضرب الثاني: هو أن يكون الإشتراك في صفة توجد في جنسين مختلفين ومثاله: رأيتُ شمساً،وأنت تريد إنساناً يتهلل وجههُ كالشمس،فإن الإنسان ليس من جنس الشمس، لكنهما إشتركا في صفة واحدة وهي التلألؤ والجمال،وكذلك قولنا: رأيتُ أسداً،تريد رجلاً شجاعاً،فالرجل ليس من جنس الأسد،لكنهما إشتركا في صفة واحدة وهي الشجاعة والإقدام والبطش0والضرب الثاث: الذي يصفه الجرجاني بأنه الصميم الخالص من الإستعارة، وهو أن يكون الشبه مأخوذاً من الصور العقلية،كإستعارة النور للبيان والحجة الكاشفة للحق، كما جاء في قوله تعالى:{وإتَّبعوا النورَ الذي أنزلَ معه} [1]ن وكإستعارة الصراط للدين في قوله تعالى :{ إهدنا الصراط المستقيمَ} [2]،وهذا الضرب هو أعلى مرتبة من مراتب الإستعارة،إذ يصفه الجرجاني بقوله : (إعلم أن هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الإستعارة غاية شرفها،ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفننها وتصرفها ، وههنا تخلص لطيفة روحانية، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية،والعقول النافذة والطباع السليمة،والنفوس المستعدة لأن تحكي الحكمة،وتعرف فصل الخطاب)0[3]وفي هذا الضرب ـ الثالث ـ تكون الإستعارة على أصول:

أحدهما: أن يؤخذ الشبه من الأشياء المحسوسة إلى الأشياء المعقولة0

والثاني: أن يؤخذ الشبه من الأشياء المحسوسة إلى مثلها، إلا أن الشبه مع ذلك عقلي0

والثالث: أن يؤخذ الشبه من المعقول للمعقول0

فمثال الأصل الأول،ماسبق من إستعارة النور للبيلن،فالنور مشاهد ومحسوس، والبيان والحجة مما يدرك في العقل ولايشاهد في العين أو يدرك بغيرها من الحواس،وكذلك حكم الظلمة إذا أستعيرت للشبهة والجه والكفر0ومثال الثاني: وهو أخذ الشبه من المحسوس للمحسوس،والشبه عقلي،قول النبي(ص): {{ إياكم وخضراء الدمن}}، فالشبه مأخوذ من النبات للمرأة،وكلاهما جسم،إلا أنه لم يقصد تشبيه المرأة من ناحية اللون والخضرة،بل القصد شبه عقلي بين المرأة الحسناء في المنبت السوء وبين تلك النبتة النابتة على الدمنة، وهو كلاهما حسن المظهر وقبيح الباطن، وكذلك قوله:

عسلُ الأخلاق ما ياسرتهُ فإذا عاسرتَ ذقتَ السلعا

---

[1] الأعراف، آية : 157 0

[2] الفاتحة، آية : 6 0

[3] الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة ، المصدر السابق ، ص62 0

فليس المقصود هنا الحلاوة والمرارة اللذان تحسهما عن طريق حاسة الذوق،وإنما الشبه عقلي،فالمعنى أنك تجد منه الحلاوة التي تشبه حلاوة العسل إذا كنت في يسر معه وهو راض عنك، أما إذا عاسرته وأغضبته فيتحول إلى ما يشدد كراهتك ويكسبك كرباً، ويجعلك كمن يذوق المرّ الشديد المرارة0

أما الأصل الثالث: وهو أخذ الشبه من النعقول للمعقول،فله أمثلة من طريقين:

الأول: تنزيل الموجود منزلة العدم،وذلك أنه إذا كان هناك شيء ليس لديه من المعاني التي يُذكر بها ويشار اليه ويحص له تأثير يُذكر ، فيكون وجوده كالعدم، وذلك كوصف الجاهل بأنه ميت،ولما ثبتت صفة الموت للجاهل،فإنه من البديهي أن تثبت صفة الحياة للعالم،ومثال ذلك قوله تعالى: { أومن كانَ ميتاً فأحييناه } [1]،وكذلك قول أبي تمام: وأنتَ أنزرُ من لاشيءَ في العددِ

وقال أيضاً:

هبْ من له شيءٌ يريدُ حجابهُ مابالُ لاشيءَ عليه حجابُ

أما الطريق الثاني: فلا يكون بتنزيل الوجود منزلة العدم،ولكن يكون على أساس أن لأحد المعنيين شبهاً من الآخر0 فمن ذلك وصف الأمر المكروه الصعب بالموت،فتقول: لقيَ الموتَ، ومثاله أيضاً قوله:

لاتحسبنّ الموتَ موتَ البلى وإنما الموتُ سؤالُ الر جالِ

أما في كتابه(دلائل الإعجاز)ن فيذكر الجرجاني ضربين من الإستعارة،وهما اللذان ذكرهما في(أسرار البلاغة) ،إذ جعلهما هناك ضمن الإستعارة في الإسم،اما هنا فيذكرهما،بأن مثال الأول أن تقول: رأيتُ أسداً،ومثال الضرب الثاني قوله:

إذ أصبحت بيدِ الشمالِ زمامها

ويعلق الجرجاني على الضرب الثاني بقوله:

(وهذا الضرب وإن كان الناس يضمونه إلى الأول حيث يذكرون الإستعارة فليسا سواء،وذلك أنك في الأول تجعل الشيء الشيء ليس به،وفي الثاني تجعل للشيء الشيء ليس له،تفسير هذا أنك إذا قلت: رأيتُ أسداً،فقد إدذعيت في إنسان أنه اسد وجعلته إياه، ولايكون الإنسان أسداً،وإذا قلت: إذ أصبحتُ بيدِ الشمال زمامها، فقد إدعيت أن للشمال يداً ومعلوم أنه لايكون للريح يد) [2]0

وقد قسم أحمد مصطفى المراغي الإستعارة لإعتبارات عدة:

(فبإعتبار الطرفين تنقسم إلى قسمين:

1ـ وفاقية: عي التي يمكن إجتماع طرفيها(المستعار منه والمستعار له)في شيء واحد،وسميت بذلك لما بين طرفيها من الوفاق0

---

[1] الأنعام ، آية: 122 0

[2] الجرجاني ، عبد القاهر : دلاءل الإعجاز ، المصدر السابق ، ص90 0

2ـ عنادية: هي التي لايمكن إجتماع طرفيها في شيء واحد، وسميت بذلك لتعاند طرفيها،وقد إجتمعتا ـ الوفاقية والعنادية ـ في قوله تعالى: { أوَ من كان ميتاً فأحييناه }[1]0

وتنقسم بإعتبار الجامع وهو الوجه الذي يقصد إجتماع الطرفين فيه إلى قسمين:

1ـ مايكون الجامع فيها داخلاً في مفهوم الطرفين كإستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب:

نثرتهم فوقَ الأحيدبِ نثرةً كما تنثرُ فوقَ العروس الدراهمُ

2ـ مالايكون داخلاً في مفهومها ، كقولك: وردتُ بحراً يتهللُ وجههُ،وأنت تريد إنساناً جواداً، فالجامع وهو الجود غير داخل في مفهومها0

ويقسمها لغير هذه الإعتبارات إلى التقسيمات التالية: عامية وخاصية،محسوس ومعقول،مصرحة ومكنية، أصلية وتبعية، مرشحة ومجردة ومطلقة)0[2]

ونجد للإستعارة تقسيمات أيضاً عند الشريف الجرجاني، فبعد تعريف الإستعارة يقول:

(ثم إذا ذكر المشبه به مع ذكر القرينة يسمى إستعارة تصريحية وتحقيقية،نحو: لقيتُ أسداً في الحمام،وإذا قلنا: المنيةُ،أي الموت،أنشبتْ،أي علقتْ أظافرها بفلان،فقد شبهنا المنية بالسبع في إغتيال النفوس،أي إهلاكها من غير تفرقة بين نفاع وضرار،فأثبتنا لها الأظافر التي لايكمل الإغتيال فيه بدونها تحقيقاً للمبالغة بالتشبيه،فتشبيه المنية بالسبع إستعارة بالكناية،وإثبات الأظافر لها إستعارة تخييلية0

والإستعارة في الفعل لاتكون إلاَ تبعية: كنطقتْ الحالُ0

الإستعارة التخييلية: أن يستعمل مصدر الفعل بمعنى غير ذلك المصدر على سبيل التشبيه،ثم يتبع فعله في النسبة غيره، نحو: (كَشَفَ)فإن مصدره(الكشف)،فأستعير (الكشف) للإزالة ثم إستعار(كَشَفَ) للإزالة تبعاً لمصدره،يعني أن(كَشَفَ) مشتق من (الكشف)،و(أزالَ) مشتق من(الإزالة) أصلية، فأرادوا لفظ الفعل منهما،وإنما سميتها تبعية لأنه تابع لأصله0

التخييلية: هي إضافة لازم المشبه به للمشبه0

إستعارة بالكناية: هي إطلاق لفظ المشبه وإرادة معناه المجازي وهو لازم المشبه به0

الإستعارة المكنية: هي تشبيه الشيء على الشيء في القلب0

الإستعارة الترشيحية: هي إثبات ملائم المشبه به للمشبه)0[3]

---

[1] الإنعام، الآية: 122 0

[2] المراغي، أحمد مصطفى : علوم البلاغة، المصدر السابق ، ص266 - 278 0

[3] الجرجاني، الشريف علي بن محمد : التعريفات، المصدر السابق، ص20 - 21 0

وأما جملة تقسيمات الإستعارة التي قلنا سابقاً أنها بلغت أكثر من ثلاثين قسماً فهي كالتالي :

ـ الإستعارة الإحتمالية0

ـ الإستعارة بالكناية 0

ـ الإستعارة بالتبعية0

ـ الإستعارة التجريدية0

ـ الإستعارة التحقيقية0

ـ الإستعارة التخييلية0

ـ الإستعارة الترشيحية0

ـ الإستعارة التصريحية0

ـ الإستعارة التمثيلية0

ـ الإستعارة التلميحية0

ـ الإستعارة التهكمية0

ـ الإستعارة الحقيقية0

ـ الإستعارة الخاصية0

ـ الإستعارة الخيالية0

ـ الإستعارة العامية0

ـ الإستعارة العقلية0

ـ الإستعارة العنادية0

ـ الإستعارة غير المفيدة0

ـ الإستعارة في الأسماء0

ـ الإستعارة في الأفعال0

ـ الإستعارة في الحروف

ـ الإستعارة القطعية0

ـ الإستعارة الكثيفة0

ـ الإستعارة المجردة0

ـ إستعارة المحسوس للمحسوس بوجه حسي0

ـ إستعارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلي0

ـ إستعارة المحسوس للمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي0

ـ إستعارة المحسوس للمعقول0

ـ الإستعارة المطلقة0

ـ إستعارة المعقول للمحسوس-

ـ إستعارة المعقول للمعقول0\

ـ الإستعارة المفيدة0

ـ الإستعارة المكنية0

ـ الإستعارة الموشحة0

ـ الإستعارة الوفاقية)0[1]

---

[1] أوكَان عمر : اللغة والخطاب ، المصدر السابق ،ص149 ـ 151 0

المبحث الثاني

الوجوه البلاغية والدلالية لأقسام الإستعارة عند الجرجاني

سبق وأن قلنا أن الإستعارة من محسنات الكلام، وذلك الذي جعل الإنسان يدخلها في كلامه،ولكن هذا الحسن يتدرج،فمنها مايكون غاية في الحسن والجمال ومنها ما يكون بداية الحسن لا أكثر، ومنها مايكون متراوحاً بين هذا وذاك، وسبق أن قلنا في تقسيمات الإستعارة أن الجرجاني إعتمد في تقسيمها هذا التدرج إذ بدأ بما هو ضعيف الحسن وإنتهى بما هو غاية الشرف،فالإستعارة كلما إبتعدت عن المألوف كانت غايتها أشرف وكان الإستمتاع بسماعها أكثر، وهذا ليس محصوراً على الإستعارة بل هو شأن كل شيء، فكلما إبتعد الشيء عن المألوف مع الحفاظ على المعنى أو المغزى،كان لافتاً للنظر أو السمع أو غير ذلك من الحواس التي تنبؤك بجمال ماتحسه وروعة ماتذوقه،وفي ذلك يقول الجرجاني: (أفلا ترى في الإستعارة: العاميّ المبتذل،كقولنا: رأيتُ أسداً، ووردتُ بحراً،ولقيتُ بدراً،والخاصيّ النادر الذي لاتجده إلا في كلام الفحول،ولايقوى عليه إلا أفراد الرجال ، كقوله:

أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا وسالتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ

أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة، وكانت سرعة في لين وسلاسة كأنها كانت سيولاً دفعت في تلك الأباطح فجرت بها)0[1]فالفرق واضح بين المثالين،فالأول بسيط ليس فيه من التعقيد ولايحتاج إلى التأمل الكثير،فمن الواضح أنه بعد التأويل نفهم أنه أراد تشبيه المقصود بالأسد لإشتراكهما في صفة أو عدة صفات0أما المثال الثاني فقوله: (سالتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ)،فقد شبه سير الرواحل بالماء الذي تسيل به الأباطح،وذلك لإشتراكهما في صفة السرعة والسلاسة والسهولة في الحركة،ثم أنه لم يقل:(سالتْ بالمطيِّ)،إنما قال :(بأعناق المطيِّ)،وذلك أن سرعتها تظهر في أعناقها،أي في عضلات نهاية العنق،ولكن ذلك ليس من الواضح الذي يهتدى إليه أيِّ كان،إنما يحتاج إلى بعد في الفكر وغوص في الفطنة وإتصاف بالفراسة،فلا يتمكن من ذلك الإ نوادر الأشخاص وخواص الناس0فقد بان الإختلاف في شرف البلاغة ودرجة الحسن بين المثالين السابقين،(ومما هو غاية في الحسن وهو من الفن،قول بشار:

وصاحبٌ كالدمل الممدِّ حملتُهُ في رقعةِ من جلدي

ومن سر هذا الباب أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ترى لها في بعض ذلك ملاحة لاتجدها في الباقي0 ومما هو أصل في شرف الإستعارة أن

[1] نفس المصدر السابق، ص96 0

ترى الشاعر قد جمع بين عدة إستعارات قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل،وأن يتم المعنى والمشبه فيما يريد،مثاله قول أمرىء القيس ـ مخاطباً الليل ـ :

فقلتُ له لما تمطّى بصلبه وأردفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ

لما جعل الليل صلباً قد تمطى به، ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب،وثلث،فجعل له كلكلاً قد ناء به فإستوفى له جملة أركان الشخص وراعى مايراه الناظر من سواد إذا نظر قدامه وإذا نظر إلى خلفخ،وإذا رفع البصر ومده في عرض الجو)0 [1]ومعنى ماسبق أن الإستعارة تبلغ غاية الشرف وحد الحسن إذ كان المتكلم قد شبه الشيء بغيره من جهات عدة،أي جعل بين المشبه ـ المستعار له ـ، والمشبه به ـ المستعار منه ـ أكثر من وجه شبه واحد0ففي المثال السابق لو أنه ذكر شبه واحد بين الليل والإنسان،وهو الصلب ـ مثلاً ـ لما كانت بهذه الدرجة من الجمال،ولكنه بالغ في التشبيه بين الطرفين،فأخذ أكثر من صف من صفات الإنسان وأجراها على الليل0مماسق نستنتج أن للإستعارة وظيفة هي إضفاء الجمال والحسن على الكلام،وهذه الوظيفة موجودة مع وجود الإستعارة،وباقية مع بقاءها،فقديماً نجد مراعاة هذه الوظيفة عند رسطو،0فهي وظيفة جمالية للنقل أو الإستعارة لم يهملها أرسطو حيث قرن الإستعارة بثلاث وظائف أساسية ومترابطة وهي:(الإفهام والتغريب والمتعة)،فجودة الإفهام في الإستعارة تعود إلى الوضوح،وتغريب القول فيها يأتي من مخالفتها للمألوف من القول ، اما أفمتاع أو الإلذاذ فيرجع إلى التخييل الذي يكسب القول لذة ومتعة،وهذه الوظائف الثلاث لايمكن ـ حسب أرسطو ـ أن نستمدها مجتمعة من أي شيء آخر خلا الإستعارة000

---

[1] نفس المصدر السابق ، ص96 0

الخاتمة

لعل من يطلع على هذا البحث يجد فيه عدة نقاط تستحق الوقوف عندها وتسليط الضوء عليها،ومنها :

ـ إن للإستعارة معان متعددة في اللغة،تكاد تجمع على أنها أخذ من طرف إلى طرف آخر ، مع الوعد برده إليه0أما في الإصطلاح،فقد أشبعها العلماء والبلغاء حديثاً عنها وتعريفاً لها وخصوصاً عبد القاهر الجرجاني0

ـ وكذلك للإستعارة جذور تاريخية توصلها وتوثق وجودها عند سائر البشر منذ القدم،فلا غنى للإنسان عن الإستعارة في حديثه، وأنها شركة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات، وليست حكراً على العربية0

ـ وأما بالنسبة لعلاقتها بالتشبيه،فقد أدلى العلماء بدلوهم في هذا الجانب،ولكن الواضح أن الرأي السائد والمسيطر في ذلك هو إختلافها عن التشبيه وعدّهما موضوعين يستقل كل منهما عن الآخر،مع ملاحظة نكتة هي أن الغرض من الإستعارة هو التشابه بين الطرفين0

ـ وقد قسّم العلماء ومنهم عبد القاهر الجرجاني الإستعارة أقساماً كثيرة بلغت أكثر من ثلاثين قسماً0

ـ وإن هذه الأقسام تتدرج في قوة بلاغتها حسب بعض الأمور أو تنقص في بلاغتها0

وفي الختام، أتمنى أن أكون قد وفقت للوصول إلى بعض مايفيد القارىء لهذا البحث ويرضيه بما يقرأ،وقبله أتمنى أن أكون قد نلت رضا الله عني وأن أحصل على ثواب لهذا العمل البسيط، فهو الذي يقبل باليسير ويعفو عن الكثير000

summary

Perhaps those familiar with this research to find several points which deserve to stand and then highlighted, including:

The multiple meanings of metaphor in language, almost as a rally was taken from one party to another, with a promise to push .

In the terminology, the Ocbaha scientists and rhetoricians newly reported and the definition of it, especially Abdul omnipotent Jorjani

As well as to borrow historical roots reaching and documenting its presence at other human beings since ancient times, is indispensable for humans in his metaphor, and as a company between Arabic and other languages, but not limited to the Arab .

With regard to the relationship analogy, he made the scholars took part in this aspect, but it is clear that the prevailing opinion and controlling in this case, is differ from analogy promised them two traveling from each other, noting the joke is that the purpose of metaphor is the similarity between the two sides .

The Department of scientists, including Abdul-omnipotent Jorjani tropes many sections of more than thirty sections .

The range of these sections in force by some eloquent things, or lacking in eloquence .

In conclusion, I hope that I have been able to access some be established to the reader of this research and please him, including read, and before I hope that I have obtained the approval of God about me and I get the reward for this simple act, he who accepts easy, and the pardons lot …

المصادر والمراجع

1- لسان العرب المحيط، العلاّمة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور0
2- معجم متن اللغة، العلاّمة الشيخ محمد رضا، دار الكتب العلمية،بيروت، 1960م0
3- اللغة والخطاب، عمر أوكَان ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، 2001م0
4- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني ، راجعه وعلّق عليه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية،ط1، بيروت،2006م0
5- دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني،شرح وتعليق د0محمد عبد المنعم خفاجي،دار الجيل،ط1،بيروت،2004م0
6- علوم البلاغة ،البيان المعاني البديع،أحمد مصطفى المراغي،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1993م0
7- الإيضاح في علوم البلاغة،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني،تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، إختارها وأشرف عليها شيخ الكلية،مطبعة السنة المحمدية،القاهرة0
8- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني،دار الكتب العلمية،بيروت،1995م0
9- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،ضياء الدين بن الأثير،قدمه وعلّق عليه د0 أحمد الحوفي و د0 بدوي طبانة،نهضة مصر للطباعة والتوزيع،القاهرة0
10- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع،السيد أحمد الهاشمي،إشراف صدقي محمد جميل،مؤسسة الصادق(ع) للطباعة والنشر،ط1،طهران،1379هـ 0